السّيرةُ النّبويّة للبراعم

(٢٥)

بِشَارَاتٌ نَبَوِيَّةٌ

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

لَقَدِ اشْتَاقَ إِلىٰ يَثْرِبَ

وَذَاتَ لَيْلَـةٍ خَطَـرَ بِبَـالِ الـرَّسُـوْلِ ﷺ تِلْـكَ الرِّحْلَةُ الجَمِيْلَةُ ، والَّتي انْتَقَل بِهَا مَعَ أُمِّه ، مِنْ مَكَّة إلى يَثْرِبَ ، حَيْثُ زَارَا أَخْوَالَ وَالدِهِ ، وَلَعِبَ مَعَ أَوْلادِهِمْ ، وَأَحَبَّهُم ، وَأَحَبُّوه ، ثُمَّ زَارَ قَبْرَ وَالدِهِ .

أَجَلْ! لَقَدْ تَذَكَّرَ أُمَّهُ... كَمَا وَحَاوَلَ رسْمَ صُوْرَةِ أَبِيْـهِ فـي مُخَيِّلَتِـهِ ، وَذَلِـكَ لأَنَّـهُ قَـدْ مَـاتَ قَبْـلَ وِلادَتِهِ...!

فَقَالَ في نَفْسِهِ : مَادَامَ أَهْلُ مَكَّةَ لَمْ يَسْتَجِيْبُوا لِلدَّعْوَةِ ، وَمَا دَامَ أَهْلُ الطَّائِفِ لَمْ يَكُونُوا أَحْسَنَ

حَالاً مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، فَلِمَاذَا لا أَذْهَبُ إلى يَثْرِبَ ، فَادْعُوهُمْ إلى الإسْلامِ ، عَسَىٰ أَنْ يَكُوْنُوا أَحْسَنَ حَالاً مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَأَهْلِ الطَّائِفِ ؟!

* * *

وكَانَتْ بِدَايَاتُ الأَنْصَارِ

وَإِذَا أَرَادَ اللهُ أَمْرَاً ؛ قَالَ لَهُ كُنْ ، فَيَكُونُ ، وَهَذَا مَاحَدَثَ بِالضَّبطِ ؛ حَيْثُ خَرَج رِفَاعَةُ بْنُ رِفَاعَةَ مَعَ ابْنِ خَالَتِهِ مُعَاذِ بْنِ عَفْرَاءَ ، حتَّىٰ قَدِمَا مَكَّةَ ، وَقُبَيْلَ الوُصولِ جَلَسا تَحْتَ شَجَرَةٍ لِيَرْتَاحَا ، فَرَأَوا رَجُلاً وَسِيْمَاً ، فَأَقْبَلا عَلَيْهِ ، وَسَلَّما عَلَيْهِ بِتَحيَّةَ أَهْلِ الجَاهِلِيَّة ، فَرَدَّ عَلَيْهُمَا بتَحِيَّةٍ لَمْ يَسْمَعَا مِثْلَها قَطُّ .

ثُمَّ دَارَ بَيْنَهُما هَذَا الحِوَارُ :

سَـأَلَهُمَـا الشَّـابُّ الـوَسِيْـمُ : « مَـنْ خَلَـق السَّمَوَاتِ ، وَالأَرْضَ ، والجِبَالَ ؟ »

فَقَالا : خَلَقَهُنَّ الله .

قَالَ : « فَمَنْ خَلَقَكُمْ ؟ »

فَقَالا : اللهُ .

قَالَ : « فَمَنْ عَمِلَ هَـٰذِهِ الأصْنَامَ الَّتِي تَعْبُدونَهَا ؟ »

قُلْنَا : نَحْنُ .

قَالَ : « فَالخَالِقُ أَحَقُّ بِالعِبَادَةِ ، أَمِ المَخْلُوقُ ؟ فَأَنْتُم أَحقُّ أَنْ تَعْبُدَكُم وَأَنْتُمْ عَمِلْتُمُوهَا ، والله أحَقّ أَنْ تَعْبُدُوه مِنْ شَيْءٍ عَمِلْتُمُوه ، وَأَنَا أَدْعُو إلى عِبَادَةِ الله ، وَشَهَادِةِ أَنْ لا إله إلا اللهُ ، وَأَنِّي رَسُوْلُ اللهِ ، وَصِلَةِ الرَّحِم ، وَتَرْكِ العُدْوانِ بِغَصْبِ النَّاسِ » .

قُلْنَا : لاَ واللهِ! لَوْ كَانَ الَّذِي تَدْعُو إِلَيْهِ بَاطِلاً ؛

لَكَانَ مِنْ مَعَالِي الأُمُوْرِ وَمَحَاسِنِ الأَخْلاقِ ، فَامْسِكْ رَاحِلَتَنَا حتَّىٰ نَأْتِيَ البَيْتَ .

فَجَلَسَ عِنْدَهُ مُعَاذٌ ، وَانْطَلَق رِفَاعَةُ إلى البَيْتِ الحَرَامِ بِمَكَّةَ ، قَالَ رِفَاعَةُ : جئتُ البَيْتَ ، فَطفْتُ ، وَأَخْرَجْتُ سَبْعَةَ أَقْدَاحٍ ، فَجَعَلْتُ لَهُ مِنْهَ قَدَحاً ، فَاسْتَقْبَلْتُ البَيْتَ ، فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ! إِنْ كَانَ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ حَقّاً فَأَخْرِجْ قَدَحَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ .

فَضَرَبْتُ بِهَا فَخرَجَ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، فَصِحْتُ : أَشْهَدُ أَنْ لا إلـه إلا الله! وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ!

فَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيَّ وَقَالُوا : مَجْنُونٌ ، رَجَلٌ تَرَكَ مَا كَانَ يَعْبُدُهُ الآبَاءُ ، والأَجْدَادُ!

فَقُلْتُ : بَلْ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ! ثُمَّ جِئْتُ إلى أَعَالِي مَكَّةَ ، فَلَمَّا رَآنِي مُعَاذٌ ؛ قَالَ : لَقَدْ جَاءَ رِفَاعَةُ

بِوَجهٍ مَا ذَهَبَ بِمِثْلِهِ! فَجِئْتُ ، وَآمَنْتُ ، وَعَلَّمَنا رَسُولُ الله ﷺ سورة يُوسُف ، وَسُورَةَ اقرأ ، ثُمَّ خَرَجْنَا رَاجِعِيْن إلى المَدِيْنَةِ .

* * *

الخَزْرَجِيُّونَ الأَوَائِلُ إِسْلاَماً

وَلمَّا شَاءَ الله تَعَالىٰ أَنْ يَدْخُلَ النُّورُ إلى يَثْرِبَ ؛ خَرَجَ الرَّسُولُ ﷺ يَدْعُو الوُفُودَ وَالقَبَائِلَ إلىٰ الدِّيْنِ الحَنِيْفِ ، وَإِذَا بِهِ يَلْتَقِي في مِنْطقَةِ العَقَبة بِعَدَدٍ مِنَ الخَزْرَجيين ، فَعَرَضَ نَفْسَهُ عَلَيْهِم ، حَيْثُ قَالَ صَلَواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عليه : « مَنْ أَنْتُمْ ؟ » .

قَالُوا : نَفَرٌ مِنَ الخَزْرَجِ .

قَالَ : « أَمِنْ مَوالِي اليَهُودِ ؟ »

قَالُوا : نَعَمْ!

قَالَ : « أَفَلا تجْلِسُوْنَ أُكَلِّمُكُمْ ؟! »

قَالُوا : بَلَىٰ! فَجَلَسُوا مَعَهُ ، فَدَعَاهُمْ إلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ الإسْلامَ ، وَتَلا عَلَيْهِمُ القُرْآنَ .

وَشَاءَ اللهُ لَهُمُ الخَيْرَ ، فَاسْتَجَابُوا لِدَعْوَةِ رَسُوْلِ الله ﷺ ، وَأَسْرَعُوا ، وآوَوْا ، وَنَصَرُوا.

* * *

يَالَمَكْرِ اليَهُوْدِ!

وَكَانَ اليَهُودُ في يَثْرِبَ هُمُ المُسَيْطِرُونَ عَلَىٰ كُلِّ الأُمُوْرِ ، وَخَاصَّةً الأمُورَ المَالِيَّة .

بينما كانَ العَرَبُ هُنَاكَ يَنْقَسِمُونَ إلى قِسْمَيْنِ : الأوْس ، والخَزْرَجِ ، حَيْثُ كَانَ بَيْنَهُمَا عَدَاواتٌ ، وَمُنَازَعَاتٌ كَبِيْرَةٌ .

وَبِالتَّالي ، كانَ اليَهُودُ عَلَىٰ اطِّلاعٍ وَمَعْرفَةٍ ـ وَهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ سَمَاوِيٍّ ـ بِأَنَّ نبياً سَيُبْعَثُ عَمَّا قَرِيْبٍ ، لِذَلِكَ كَانُوا يَتَبَاهَوْنَ عَلَى العَرَبِ بِأَنَّهُم سَيَتَغَلَّبُونَ عَلَىٰ الْعَرَبِ ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ غَيْرِ

اليَهُوْدِ ، وَذَلِكَ لأَنَّهم سَيَقِفُونَ مَعَ نَبِيٍّ آخِرِ الزَّمَانِ.

لِذَلِكَ كَانَ العَرَبُ في يَثْرِبَ يتحيَّنونَ الفُرْصَةَ المُواتِيَةَ للانْقِضَاضِ عَلَىٰ اليَهُوْدِ .

كُلُّ هَذَا جَعَلَ العَرَبَ يَتَهيَّؤونَ لِلْوُقُوفِ مَعَ الرَّسُوْلِ ﷺ وَدَعْوتِهِ ، عَسَىٰ أَنْ يَنْتَصِرُوا عَلَىٰ اليَهُوْدِ المَاكِرِيْنَ .

وَكَمْ سَمِعَ الأَوْسُ ، وَالخَزْرَجُ مِنَ اليَهُوْدِ تِلْكَ المَقُوْلَةِ الَّتِي تَقْطُرُ حِقْداً وَسُمّاً :

إِنَّ نَبِيّاً مَبْعُوثٌ الآنَ قَدْ أَظَلَّ زَمَانُهُ نَتَّبِعُهُ ، فَنَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَم ؟!

وَهَذَا مَا دَفَع النَّفَرَ مِنَ الخَزْرَجِ الَّذِيْنَ لَقِيَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ في المَوْسِمِ لِلْوُقُوفِ مَعَ الدَّعْوَةِ ؛ حَيْثُ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ :

يَا قَوْم ، تَعَلَّموا وَالله! إنَّه النَّبِيُّ الَّذِي تُوْعِدُكُمْ بِهِ يَهُودُ ، فَلاَ تَسْبِقَنَّكُمْ إِلَيْهِ .

وَقَالُوا لِلرَّسُولِ ﷺ : إِنَّا قَدْ تَرَكْنَا قَوْمَنَا ولا قَوْمَ بَيْنَهُمْ مِنَ العَداوَةِ ، والشَّرِّ مَا بَيْنَهُم ، وعَسىٰ أَنْ يَجْمَعَهُمُ اللهِ بِكَ! فَسَنَقْدَمُ عَلَيْهِمْ فَنَدْعُوهُمْ إِلىٰ أَمْرِكَ ، وَنَعْرِضُ عَلَيْهِم الَّذِي أَجَبْنَاكَ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الدِّيْنِ ، فَإِنْ يجْمَعْهُمُ الله عَلَيْهِ فَلا رَجُلَ أَعزُّ مِنْكَ!

* * *

مَتَىٰ يَتَحَقَّقُ ٱلحِلْمُ... وَالوَعْدُ ؟

وَهَكَذا تسلّل الفَرَحُ إلىٰ قَلْبِ الدَّاعِيَةِ الأَوَّل صَلَواتُ الله وَسَلامُهُ عَلَيْهِ ، حَيْثُ سَمِعَ مِنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الخَزْرَجِ شَهَادَةَ التَّوْحِيْدِ .

إذَاً : لا بُدَّ وَأَنْ يَنْتَشِرَ الإسْلامُ سَرِيْعاً في يَثْرِبَ ، وَلا بُدَّ أَنْ تُصْبِحَ يَثْرِبُ عَاصِمَةَ هَذَا الدِّيْنِ إنْ شَاءَ الله تَعَالَى .

وَقُبَيْلَ الوَدَاعِ ، تَعَاهَدَ الرَّسُولُ مَعَ هَذَا الوَفْدِ أَنْ يَكُونَ اللِّقَاءُ في المَوْسِمِ المُقْبِلِ ، عَسَىٰ أَنْ تَكُونَ بِدَايَاتُ الخَيْرِ العَمِيْمِ.

وَبَعْدَ الوَدَاعِ انْطَلَقَ المُؤْمِنُونَ إلىٰ يَثْرِبَ ،

وَكَانَتْ بِدَايَاتُ بُذُورِ الدَّعْوَةِ، وَكَانَ الخَيْرُ واليُمْنُ وَالبَرَكَاتُ .

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين

* * *